

اجتهادات ثورة المصريين

إذا أردنا معرفة طبيعة ثورة 25 يناير وأصحابها الحقيقيين، بعيداً عن اختزالها في مجموعات صغيرة ومحاولات شيطنتها، لوجدنا ما نريد أن نعرفه في نهاية مسلسل «ذات» المعتمد على رواية الراحل الكبير إبراهيم أصلان.

فعندما اندلعت هذه الثورة قررت بطله المسلسل «ذات» أن تشارك فيها رغم أنها لم تكن معنية بالسياسة، ناهيك عن أن تكون سياسية أو مسيسة أو مرتبطة بحزب أو حركة شبابية. وترمز «ذات» هنا للمواطنة المصرية العادية جداً، التي أبدع أصلان في تحويلها إلى موضوع لرواية رائعة، ثم نجحت كاتبة السيناريو مريم نعوم في تحويل هذه الرواية التي يصعب بناء عمل درامي عليها إلى مسلسل رائع شكلاً ومضموناً، بعد أن أضافت إليها تفاصيل كثيرة وغيرت مداها الزمني.

فقد شارك في الثورة بأشكال ودرجات مختلفة ملايين مثل «ذات» يمثلون مختلف فئات المجتمع بعد أن راعهم المدى الذي بلغه الظلم والقهر والتسلط والفساد. فما إن كسر بعضهم حاجز الخوف حتى شجعوا آخرين أخذت أعدادهم تزداد في كل يوم من الأيام الثمانية عشر التي سيسجل التاريخ أنها كانت، هي وأيام حرب أكتوبر 1973، أروع فترتين عاشهما المصريون خلال نصف القرن الأخير.

أراد المصريون بثورتهم التى ألهمت العالم وكانت هى محور اهتمامه فى حينها وضع حد لهيمنة نظام خرب الاقتصاد والمجتمع واقتربت فيه السلطة بالثروة.

وقد أكدت هذه الثورة صحة النظريات التى ذهبت منذ ستينيات القرن الماضى إلى انتهاء عصر الثورات التى تقودها أحزاب أو حركات أو طبقات، وتوقعت أن تكون انتفاضة 1968 التى بدأت طلابية فى فرنسا بداية عصر جديد فى تاريخ الاحتجاجات الشعبية.

وكان هربرت ماركوز هو صاحب أول نظرية بهذا المعنى فى كتابه الملهم «نحو التحرر». فقد شرح كيف أن «نموذج» الثورة الطبقيّة الذى هيمن على الفكر الثورى منذ ثورة 1917 الروسية انتهى، وأن الثورات ستكون معبرة عن طيف اجتماعى واسع وفق ظروف كل بلد وثقافته وتاريخه.

وتبعه مفكرون وعلماء اجتماع نظروا الى مفهوم الثورة بوصفه تعبيراً عن لحظة انفجار مجتمعى تلقائى واسع ينتج عن تراكم ينمو ببطء فى رحم النظام القديم. ولم تكن ثورة 25 يناير إلا نوعاً من هذا الانفجار الطبيعى الذى يشبه صرخة ألم وصيحة أمل فى آن معاً.